

زهرة قراب

باسم الله الرحمان الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام،

أخواتي عضوات المكتب،

أختي الرئيسة،

أخواتي المجاهدات بالأمس،

أبنائي، بناتي، وحفيداتي من أساتذة وطلاب

تحية طيبة، تحية السلام، تحية الثورة، تحية شهيدات ثورة نوفمبر الخالدة،

ماذا أقول وماذا تقلن اليوم؟ بالأمس كنتن زهرات، كنتن وردات الجزائر، واليوم بعد 34 سنة

من استرجاع السيادة الوطنية، صارت الصغيرة منا لا تستطيع الجلوس ولا الوقوف مما عانتها

في جبال الجزائر الشامخة وفي السجون والمعنقلات. كيف كنتن بالأمس وماذا تقلن لي اليوم؟

أقول كلمة، نشكر من جمعنا اليوم، نشكر من أبنائنا الطلبة ومن هذا المركز الذي

أنشئ منذ أقل من سنتين، أي المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول

نوفمبر 1954 نقول لهم نموت ونترك الجزائر سليمة بين هذه الأيادي إن شاء الله.

المرأة الجزائرية، وهذا مدخل قصير جدا، لأننا منضبطون والمجاهدات منضبطات دائما، لأن

الوقت مشدد علينا في تاريخنا أي حتى في التاريخ ليس عندنا الوقت، ثم أعود إلى المرأة

الجزائرية في الولاية الخامسة ودورها باختصار في الحدود الغربية ومرسى بن مهدي.

لي كلمة وجيزة، المرأة الجزائرية رغم الاحتلال الذي دام قرابة قرن ونصف، ورغم

أنها كانت هذه المرأة الجزائرية طوال الاحتلال الفرنسي تعاني الظلم والاضطهاد مثلها مثل

الرجل، حرمانها من التعليم وتحملها للإهانة وأي إهانة إمرأة الإسلام، وبنت العروبة وبنت

الإسلام وبنت البرابرة كانت إهانتها خادمة عند الفرنسية والفرنسيات، في البيوت تنظف وتغسل

وتهان كرامتها، ونالت من السخرية حيث كان النصارى دائما ينادونها باسم "فاطمة". إلا أن

هذه المرأة فاطمة الجزائرية العربية المسلمة حافظت دائما على كرامتها وعلى عاداتها وعلى

أخلاقها وعلى تقاليدها، ولم تركع أبدا، ولم تنسلخ عن قيمها العربية الإسلامية وعن شخصيتها

الجزائرية، بل كانت تعتز باسم فاطمة، ثم كانت هذه المرأة رغم أميتها ورغم جهلها، إلا أنها

كانت في الصفوف الأولى من ثورة الأمير عبد القادر إلى ثورة بوعمامة إلى ثورة، وثورة، وثورات

كثيرة، إلى لالا فاطمة نسومر، إلى من أنجبت الأبطال والرجال منهم صانعو الثورات، وثورة

التحرير الأخيرة والمظفرة.

انتظرت هذه المرأة كثيرا، ولكن لما بدأت ثورة نوفمبر الخالدة، وقبل الثورة الخالدة كانت سواء في المدارس الفرنسية أو في مدارس جمعية العلماء المسلمين طالبة ومعلمة وتربي الأجيال، ونذكر منهم على سبيل المثال في أي مدرسة من مدارس جمعية العلماء المسلمين في أنحاء هذا الوطن الشاسع وهن موجودات في هذه القاعة بنات جمعية العلماء المسلمين في الشرق والغرب، وعلى سبيل المثال مدرسة التربية والتعليم في وهران، مدرسة الفلاح، مدرسة الحضارة في تلمسان، ومدارس الشرق الجزائري، خرجت وخرجت البطلات والثوريات، وهن هنا أمثال السيدة قراب الواقفة أمامكم، الأخت زهور ونيسي، أمينة زعنان أول امرأة سجنّت في وهران وأنتم تعرفونها.

إن تاريخ المرأة كثير وكثير، ولو كتبت كل واحدة منكن لألفت مثل كتاب ألف ليلة وليلة، ولكن ألف ليلة وليلة الجزائرية الثورية كانت هذه المرأة في حزب الشعب، كانت في الحركة الوطنية في جميع هياكلها. ثم جاءت كما قلت في السابق ثورة نوفمبر الخالدة، لبت النداء. فكانت هي الأولى والسبابة، هذه المرأة احتضنت الثورة. احتضنتها نعم مثلما احتضنها الرجل، فكانت المجموعة الأولى 22 ولكن من كانت تشرف على مجموعة الـ 22 قادة الثورة الأوائل؟ امرأة كانت تطعمهم، كانت تقوم بالواجبات معهم، كانت مع زوجها، كانت في البيت، ألا نسميها الثالثة والعشرين؟ خلال إقامة الـ 22 كانت معهم، لو ماتوا تموت. لو استشهدوا، تستشهد هذه المرأة، لماذا نكرمها من التاريخ؟ لأن هذه إسمها امرأة فقط، سميت بإمرأة، أرادها الله أن تكون امرأة، أرادتها البشرية أن تكون امرأة، وأرادها الكون أن تكون امرأة. وهكذا حتى ثورتنا المظفرة الخالدة أرادتها أن تكون كذلك امرأة "لولية".

بعد سنين، وبعد 34 سنة من عمر الاستقلال الوطني أو استرجاع السيادة الوطنية، لأنه كانت لدينا دولة من قبل، لهذا نقول استرجاع السيادة الوطنية التي أخذتها منا فرنسا. بعد هذه السنين، رفع الستار، ومسح الغبار عن هذه المرأة الموجودة في هذه القاعة وخارج القاعة، فماذا تقول هذه المرأة الثائرة الآن؟ وما عساها أن تقول وأن تكتب؟ تعاقب الرؤساء والوزراء، والحكام، ورجال السياسة، وكتاب التاريخ، وبين قوسين معشر العرب ورفقاء السلاح، وهم المجاهدون ضمن مؤتمراتهم ومنظماتهم، وتعاقب ضمن هذه السنوات، نظام سمي برجال السياسة كما يقولون هم بالحزب الواحد أو F.L.N ونظام جديد سمي بعهد التعددية السياسية وعهد الديمقراطية بين قوسين، ويالها من ديمقراطية! ديمقراطية الدماء. وهذه المرأة "لولية" التي أعطت بالأمس من وقت دخول الإسلام إلى هذه الأرض الطيبة إلى عهد الأمير عبد القادر، أعطت

الكثير والكثير والكثير، وهي تمد إلى أم غالية عزيزة علينا، هذه الأم الغالية التي لم ننسها ولن ننساها أبدا حتى ولو ذهبنا نحن، فهي أم للأجيال اسمها الجزائر.

نادتها هذه الأم، أعطت الرجال العظماء، أهدت إلى الثورة الزوج، أهدت الشهيد، ترملت من أجله شابة في سن العشرين، أهدت الابن الوحيد الأول ولم تشبع، فزادته الابن الثاني، ولم يرتو ولم يرتو فروته مرة أخرى وأعطته الابن الثالث ولم تزل تطلب، ولم تزل تطلب، فأعطته الرابع، وأصبحت بعد ذلك خنساء الجزائر مثل أمنا التي حضرت معنا في هذا الملتقى. ولم يتحقق حلم هذه المرأة العظيمة الجزائر. لماذا لم يتحقق حلمها؟ لأنها كانت عنيدة هذه المرأة، لأنها كانت عنيدة وقوية، كانت تقول لا، ولن أترك ولو قطعة من أرض الجزائر: هيا أيها الأبناء أهدوني ما بقي فقالت بنات الجزائر، نحن هنا أيتها الأم العظيمة، نحن هنا. "فكانت هذه المرأة بالجبال تحمل السلاح، هذه المرأة رغم أنها كانت امرأة، كانت تحمل السلاح، وأين؟ بين نهودها، وفي حقيبتها، فتشوه الجسد عندما تفجرت القنبلة، وأحرقته، وشوهت، وقالت: "لا، سوف أزيد، سوف أدفع"، مثل أختكم وابنتكم، وهي ليست هنا حاضرة، إنها ياسمين في سن الشباب، عمرها 16 سنة، تنفجر القنبلة، ويذهب الجسد، الجسد الجميل في السابعة عشر من عمرها، فقالت هذه الأم الجزائر، هذه المرأة العظيمة العنيدة": أريد شيئا آخر، بقي لي شبر آخر لم يكفني، الإبن، والعم، والأب، والأخ. "فقالت فتاة الجزائر": ماذا تريدين أيتها الأم؟ "فقالت لها": أنت. "فسقطت شهيدة. حكم عليها بالإعدام، شوه الجسد، أحرقته النهود، وسقطت شهيدة، وسمعها العالم، وقال: "من هي هذه المرأة؟ من التي حكم عليها بالإعدام؟". "إنها بنت الجزائر، وكان لها صدى، وكان لها صدى عميق في مجلس الأمم، تلك هي المرأة الجزائرية.

إن هذه المرأة التي لم تترك أبدا أما غالية، فأعطتها كل شيء، فأعطتها الشباب، وأعطتها الأناقة، وأعطتها الجمال وأعطتها البدوية وأعطت كل ما تملك، فكيف نقول؟ هل نحييها من جديد؟ من يحييها هم أبناء الجزائر، هو الجيل القادم، إنني نظرت، نحيي ونكرم بنات نوفمبر بعد 34 سنة. هذه كلمة قصيرة من أختكم المجاهدة، كانت من أجلكن، وفي خاطركن.

بالنسبة للمرأة في الولاية الخامسة، بعدما التحقت بصفوف جيش التحرير مثلها مثل أخواتها في جميع مناطق الوطن، لأن ما وقع في الولاية الخامسة وقع في الولاية السادسة، رغم أن الولاية السادسة صحراء قاحلة، كانت ترفع القرب والقلل، كانت تعجن، كانت تطبخ، كانت هي الاتصال، لأن جهاد المدن وجهاد البدو وجهاد الصحراء يختلف. لكن شيئا واحد كان يجمعنا، هو الجهاد.

في الولاية الخامسة، بعدما التحقت البنات بالجبال، واستشهدت منهن من استشهدت،

والقائمة طويلة جدا، وقائمة الشهداء في الجزائر قائمة طويلة جدا .جاء أمر من القيادة آنذاك، وكان آنذاك المرحوم هواري بومدين رحمه الله، لأن المرأة الجزائرية، وجنود جيش التحرير وجبهة التحرير خافوا على المرأة الجزائرية التي شوه جسدها واغتصبت من طرف الاستعمار واستشهدت، فأرادوا أن يحافظوا عليها شيئا ما، ذهب ودخلن إلى قاعدة العربي بن مهيدي، منهن المجروحات والمعطوبات مثلما كن كذلك في دشرة المجاهد بالشرق الجزائري، قامت بأعمال، فتحت مراكز في قاعدة العربي بن مهيدي للتدريب والتدريس .لقد كانت هذه المرأة الجزائرية المجاهدة الجندية تقوم بالتدريس، وكان هناك ثلاثة مراكز في المغرب، مركز في وجدة، ومركز في الدار البيضاء، ومركز في الرباط، فيه أبناء الشهداء، شهداء الأم والأب، من سنتين إلى 14 سنة، أيتام.

كن مجاهدات، شابات، أحتضن الأيتام ورببهم، وغسلن لهم، ونظفن لهم، وعلمنهم، ودرسن لهم، هذا في المراكز .كذلك كن في اتصال في الشبكة السرية للمخابرات مع سي بوصوف رحمه الله .وقد أحضرنا بعض الوثائق التي بحوزتنا، لقد اختاروا نساء لهن مميزات خاصة، وأرسلن رغم أن المجاهدات طالبن بالرجوع إلى الجبال .فقال لهن سي بومدين وسي عثمان رحمهما الله بأنهم يحتاجون إليهن في مهمة أخرى .فأرسلن كمخبرات، وكان مسؤولا عليهن في ذلك الوقت المجاهد رحمه الله وكنا نسميه الحاج باريغو الذي كان يقوم بتدريبهن.

لقد أدخلوا بعضهن إلى المدارس في المغرب، وهذا لجمع المعلومات، من أين؟ من الفرنسيين الموجودين في مدارس المغرب بالرباط والدار البيضاء ووجدة .والبعض الآخر يمتطين الطائرة، ومنهن فضيلة التي كانت في الناحية الثامنة واسمها الحقيقي بريكسي خديجة، وقد كانت بيضاء البشرة، ولها قصة، فعندما ذهبت إلى الناحية الثامنة التي كانت تنتمي إلى المنطقة الرابعة الولاية الخامسة، وأشير هنا أن الصحراويات سمروا، وكانت فضيلة بيضاء وجميلة، قال لها سي لظفي " :أنت تبيعينا وتقضي علينا . "وهذه نكتة.

إذن، أرسلت فضيلة إلى الدار البيضاء للتجسس، لأن مركز الدار البيضاء كان يوجد بها فرنسيون وأمريكان وأجانب في المغرب، وكانت تتجسس على الشواطئ وتدخل في صفوفهم مع زوجها، وتكتب الرسائل وتركب الطائرة في المساء، أو تكون في الاتصال اللاسلكي أو في اتصال مع بوصوف رحمه الله

كما كان باختصار، رجل عظيم ومجاهد ونعترف له، وهو الدكتور الحاج محمد هدام في وجدة الذي خصص عيادته للمجاهدين وللمهاجرين القادمين من الحدود الغربية، وقد أعطاهم عيادته وكانت فيها ممرضات منهن :زوجة الشهيد لظفي رحمه الله، وفاطمة مشيش المدعوة

رشيدة، وحفيظة، وعزيزة، وفيهن من هن حاضرات وغائبات مهمتهن التكوين والتدريب في تلك الدار، ومنهم كذلك الدكتور زينة والدكتور بركات زوج السيدة أنيسة بركات، وهم الذين كانوا يقومون بالتدريب والعلاج، ويخرجون للحدود إلى غاية بوعرفة لمعالجة المرضى والعودة، والحاج هدام عبد السلام مازال لحد الآن مقيما، ولا ننسى بأن المجاهدات في قاعدة العربي ابن مهدي كن يعالجن الفقراء المغاربة مجانا.

كما أن بعض المجاهدات كان لهن جوازات سفر، وهناك وثائق قد سلمت بالأمس إلى المركز تشهد على ذلك، قد ذهبن إلى إسبانيا مع مجاهدين للتجسس، كما كانوا يشترون الأسلحة ويدخلونها إلى الجزائر ويتعاملن مع الإسبان بعد أن تعلمن اللغة الإسبانية. و كان يوجد أيضا بمنطقة الغرب الجزائري على الحدود الغربية مركز خاص في قاعدة العربي بن مهدي كما كانت تسمى سابقا، وكان يسمى " دار الصابون "فما هو دور" دار الصابون؟ "نساء مجندات مهاجرات بدويات، ماذا يفعلن؟ كن يخطن الزي العسكري للجنود، ويغسلن البدلات العسكرية للجنود والكتائب كل يوم مما أدى إلى إصابة بعضهن بأمراض جلدية مازالت تعاني منها إلى غاية اليوم. ولاننسى كذلك، بأن المجاهدات المثقفات المتعلمات اللواتي كن مع جيش التحرير الوطني ولهن شهادات، أنشأن مدارس لتعليم المرأة المهاجرة الموجودة في الحدود الغربية، ومنهن من أصبحن محاميات وأستاذات.

هذا باختصار لمحة قصيرة، لأنه لو تحكي كل واحدة منكن ستؤلف مجلدات، ولكن لمن أحكي؟ لمن أحكي؟.

ما أطلبه في المستقبل، وما نطلبه من هذا الملتقى الأول بعدما بلغ الشيب محيانا، وعجزنا، نطلب الكرامة وحقنا في التاريخ.